الثورة ALTHAWRAH
Friday : 3 Rmdan 1434 > 12 July > Issue No. 17767

مرتكزات الخطاب الشعري النسوي الخليجي (العلامات والدلالات).. (الامارات والبحرين أنموذجاً) 2-2

المبدعة العربية تكسر التابوهات وتنافس الرجل في الجرأة

(4) التوهج والسواد:
إن النص يعكس شيئاً من الحزن لتعرى الحياة وموتها واقعاً وجسداً "بدأ الخريف مبكراً" لتشير إلى موت الحياة وبداية للجسد بأن يذوي، وبذلك يكشف عن اكتشاف للذات الحالمة في واقع مادي طاغ متعر روحي يتمركز في الذات ولذلك يحيل "الخريف" الموت وظهور ذبول الحياة باكرا وتحيل الأوراق المتساقطة للمرأة للحياة وللاستسلام والهزيمة وإلى عدمية الحياة في الواقع إلا في الروح راسخة "قلبي سيظل نظراً دوماً"، وهذا تحد، وبذلك يخلق هوية وكينونة وفاعلية لمقاومة الجَدب والموت والتعري والإقبال على الحياة وبذلك "نعدو الجسد بطل النص الشعري والروائي"، بوصفه منطلق إبداع الأنثى، لأن اليأس عودة للضعف والانهزام.

وإن كان النص الشعري يعرض قضايا المرأة باستفاضة ويحولها عنصر وهوية فاعلة في المجتمع ومؤثرة في الأجيال تقول ما تشاء وتكسر التابوهات، لذلك الربيع يختفي كثيراً من النص الشعري للديوانين العنفوان والتجدد للحياة وهو شباب الحياة بوصف النص الشعري يساءل الغياب ويحاكم الجدب ويعرض الإخفاقات، ولأن الخريف نهاية، فإن الشتاء هو البرود الذي يفتقر للدفء فإن الصيف رمز للتوهج والحرارة والسخونة والتدفق، ففي ديوان الفراشة يقول النص:

"تمر كالنار، وتترك اسمك
اقترب..
باهت صيف النوارس
معتم وجه النهر
التقاسيم تتلاشى
اقترب...
واهن عمري بعدك"(35).

إن النص الشعري النسوي يبحث عن الدفء والحرارة والاخضرار ويهاجم الجدب، العقم، الظمأ، البرود، فالشاي والقهوة معادلان للدفء، لذلك تترك المرأة وتتجه للأنيس فهو الدفء. وفي النص يلحظ رمادية الحضور "تمر كالنار" سرعة ورمادية ويعلق الاسم الذي لا كينونة له "باهت صيف النوارس"، فالحرارة والإقامة منعدمة باعتبار الصيف ترميز للحرارة والتوهج "و"النوارس" ترميز للبقاء والمواطنة ورفض المغادرة للمكان، فالنص يقدم إنسانية الأنثى التي تسرد سيرة الغياب الكلي لكل شيء، والذي يفضي إلى الضعف والظلامية وغياب التوهج والألق للحياة "معتم وجه النهر"، إنها سيرة حياة لاستمرارية الجدب والقحط وسيرة حياة لامتداد الضعف "واهن عمري"، فكانت "اقترب" فيه الالتماس والحزن والتمني الذي يرسم معاناة ومكابدات غياب واحتجاب دائمين وسرد سيرة حياة لديمومة البرود فكان النص يعكس حاجات المرأة "طالما هي في نمو نفسي وذاتي وبدني وجسمي وجسدي متواصل، وافتقارها إلى أسس الحياة تبقى مستمرة... مما أفضى إلى أن النص الأنثوي تعبير عن مشاركة المرأة ومزاحمتها في الحياة لتشارك في صناعة مصيرها ومصير من حولها"(36).

ويحاول النص النسوي فتح باباً للسكون المتحرك في زمن المرأة خاصة الليل(37).

فكان الليل والظلام والعتمة علامات سيميائية في الخطاب لهذين الديوانين خاصة والليل رمز المستبد ورمز الوحشة والانفراد، وهو أيقونة للاستقرار والراحة، بوصف يتمحور حول تبدد الغياب والاستبدال بالحضور لتخرج من الدمية المحطمة إلى إنسانة لها تأثير وفعل، ومن وعاء يروي ظمأ الرجل إلى قرين قريب وليس طرف آخر معاد، فكان الليل خطاب وعلامة يمكن قراءة الدلالات والإحالات من خلال النصوص التي تلي:

"مع انتشاء الخزامى في ليل
مع انطفاء السراب
بعيداً عن هوى البراري
مع انكسار النجم على خصر الفراشة
ترجل
وانزلق إلى عنق الظلمة
املأ بقسماتك ضريح امرأة
لم تلمس بعد أزهار النار"(38).

لعل مدلول "الليل" في هذا يحيل إلى البرود والتشاؤم والقلق والموت بوصف الوحدة والانفراد نوعاً من القهر ويعكس نوعاً من التفاعل النفسي والحركي مع الزمان والمكان، فالليل يحيل أيضاً إلى الاضطراب بحثاً عن الثبات والفارس الحلم "ترجل"، وتشير الإحالات إلى الخواء الروحي ليعكس البحث في المتخيل الغائب الذي "ترجل، أملاً" للتمني والالتماس والرجاء "املأ بقسماتك ضريح امرأة"، فكأن حضور الحلم الغائب ليلاً نوعاً من الرحمات التي تحيل الميت إلى بعث وحياة وتجدد وتوهج، "لم تلمس بعد، أزهار النار"، وبذلك تحول الكل إلى زمان ومكان يحوي الفضاء المعتم والمقلق والمضطرب والميت وكأن النص النسوي في الديوانين يتزاحم بكثافة ليلقي الصراع ما بين الحضور للذات والجسد الباعث عن دور وطرف غائب لا يخلق الحلم والتحول..

"في نشوة الليل
هنا،
انتحا على أطراف الخطيئة
صوتان في دم التجربة
وراء نعاس الملوك
في منحة الخراب، على عزف مختلس
لكما غابات النرد مطرزة
بالأنقاض"(39).

علي أحمد عبده قاسم

يلحظ من المقطع أن علامة للاستتار والتدمير للذات لذلك جاءت ألفاظ تشي بالفعل والممارسة "نشوة الليل، أطراف الخطيئة، دم التجربة"، مما يفضي إلى الوهم "وراء نعاس الملوك"، وفيه التسارق "في عزف مختلس"، فتكون النتيجة التدمير والدمار للذات "فسحة الخراب، لكما غابات مطرزة بالأنقاض"، وكانت "غابات النرد" تعكس فعل القدر والحظ المدمر لذلك كان الليل علامة على التفكير والفعل في حالة من اللاوعي ويعكس الاختيارات والرغبات، مما يفضي إلى دلالات التأزم والرغبة بالتفاعل النفسي والاجتماعي والتأثير الإيجابي، وكان خطاب النص بـ"أنتما، لكما" نأياً بالذات عن التدمير والخطيئة ومخاطبة الغياب والمتلقي بالمعاناة والمأساة الإنسانية في حالة التدمير والخراب، وفي بعض النصوص تحول علامة "الليل" إلى نوع من التأمل الذي قد يبلغ حد التعبد. إن للغياب أو محاولة خلق عالم يقترب من الله لتتقرب الأنثى من الغياب والحلم وتحقيق الحرية..

"أما آن للروح أن تستكين
ليخرج قلبي إلى مبتغاه
غيب ينفض مائي
ولا حول لي إلا الصلاة
قرآن الليل جناحي
لأصله عامرة وسرمدية
أبواب حنتى هو حارسه
والبحر بين يديه نهر"(40).

إن لوحة تتكشف في الليل فتتحول الآمال والمطامح والتحول إلى الوعظ واللجوء إلى الله يشير إلى قلة الحيلة والضعف في الاستمرار في المقاومة "لا حول لي" ضعف بلغ حد التلاشي، مما أفضى إلى الاستعانة بقوة المخلص "الله"، "لا حول لي إلا الصلاة"، "قرآن الليل جناحي"، مما يعكس حالة من اليأس "غيب ينفض مائي" ليشير إلى الجفاف الروحي وربما البيولوجي والاجتماعي، فكان الليل علامة لاكتشاف الذات واكتشاف الزمن واكتشاف غياب الحلم وذبول الروح لكن التمسك والإصرار على خلق الحلم باق ومستمر "لأصلة عامرة وسرمدية" الوصول إلى الحلم والرضا من الله وبذلك تتحول الجفاف إلى اخضرار والملوحة إلى عذوبة والرمال جنان "أبواب جنتي هو حارسها، والبحر بين يديه نهر"، لذلك كانت نصوص خلود أكثر مباشرة وتصريحاً من نصوص بروين المشفرة العميقة، رغم الاقتراب والتشابه في المعجم اللغوي.

وإذا كانت مرتكزات الخطاب النسوي نابعة من الجسد، فإنّ ذلك الجسد المقهور يبحث عن الحرية والحلم والتألق والتوهج، ولا يأتي ذلك إلا من الخروج من العتمة والليل إلى النور ليكون فاعلاً ويمارس غناه ببلوغ ذلك الحلم فأتى معجم النور في النص النسوي متخذاً مفردات عدة "النور، الضجر، النهار، التوهج، النار، والشمس"، ليتلاشى التخبط والغياب ويتكثف الحضور والفاعلية.

"لو يقرأ آياتي
يكشف أسراراً قدسية
نوراً يرتد من لوني
جسداً مفتوناً بالضجر
دفئاً آخر
وحده لو يجمع أوراقي
تصير الشمس مقيدتنا
وبكائي أغنية
وغمامي أنهاراً كبرى
سيحط نجمه في
سيعرفني
يبقى مأخوذاً بالسر الأكبر
لو يعرفني"(41).

إن النص يرصد حركات وعلامات للأسرار الغائبة وكأن النص يستعرض خصائص التميز والفرادة ترغيباً في الذات ومحواً للغياب والتبدد والاضمحلال، ويعكس أمنيات إنسانية غاية في الرقة وتمكن من رصد أماكن التميز المتألقة من خلال النور والاكتشاف، وهذه نزعة ورغبة فطرية في الاكتمال، فكانت ملامح النور مجموعة في هذه القصيدة "النور" للهداية والتألق والحرية "الضجر" للحرية والتجدد "الشمس" للسمو والتألق والتوهج "النجمة" للتألق والسمو والجمال، والذي يجعل من المتلقي مشدوها بسرد هذه العلامات في ترغيب بلغ حد الحياة المترعة بالسعادة "لو يقرأني" أمنية ومطمح تعكس الغياب وسيرة الحب المفقود والأمل الذابل والحلم المتبدد، فلو تساءل القارئ ماذا يكتشف؟ لكانت الإجابة السريعة:

- اكتشاف الأسرار المقدسة
- يكتشف النور واللون
- الجسد المفتون بالضجر
- الدفء الفريد
- تحول الشمس قصيدة والبكاء أغنية.

ومن ثم يتلاشى الجدب والعقم والغياب ويحدث التحول، ومن ثم "يبقى أزلياً مأخوذاً بالسر الأكبر"، إنه اكتشاف لمعجزة وكنوز بلغت حد القداسة.

وإذا كانت المرأة المبدعة تحكي سيرتها وحياتها في الواقع والمتخيل، فإن علامات النورانية في الكتابة تأتي لقهر الوحدة والوحشة والغياب، فهذه بروين حبيب تقول في قصيدة بعنوان "امرأة الضوء"..

"في الهامش الضوئي أمر
المساء حرير ضاحك
على يدي
طيات تتكسر في الضوء وفي الظل
وفي صيحات اللون تحسدني صويحباتي
لكن
ظلي المتطاول
ينفصل عني
ويبكيني
ظلي الذي في أول الخليقة ناداني
ها هو تائه في الممرات"(42).

فإذا كانت العلامات ترتد على دال ومدلول، فإنّ العنوان "امرأة الضوء" يحيل إلى المرأة الباحثة عن الحرية والتألق والتوهج والذائبة فيه والمتلازمة عليه خاصة والتركيب إضافي للعنوان بمعنى الاسمين يحيلان لاسم واحد مترابط مما يفضي الترابط ما بين الرجل والمرأة، والمرأة والحلم، ويعكس حضور المرأة وغياب الرجل. وعند الدخول للنص يلحظ المتلقي السردية لأقصوصة النص بشخوصه وأحداثه، فكان الحدث "في الهامش الضوئي أمر" إشارة إلى الحضور المغيب أو الحضور الباهت الذي لا يشير إلى التأثير الفاعل، ويأتي "المساء مرير ضاحك" ليشير إلى التفلت وعدم الثبات للضوء والتأثير خصوصاً "مرير ضاحك في يدي"، ويأتي التبدد والتحطم "للضوء" للحلم وللمرأة" والتحطم "للظل" إشارة للرجل وترسم صورة نسوة يغبطنها وتأتي الشكوى بالاستدراك "لكن" للاستدراك والشكوى "ظلي المتطاول" إشارة إلى كبرياء الرجل وإهماله على الرغم من ترابط الخطاب في لفظ "ظلي" إشارة الارتباط والذوبان ليأتي "ينفصل عني" إشارة للفراق والشتات لاسيما والآلام تأتي "يبكيني"، "ظلي الذي أول الخليقة ناداني" إشارة إلى آدم الذي شكل صورة للتطاول والتكسر، سواءً للحياة أو للمشاعر أو للحضور كل جعل من الضوء علامة باهتة ولا تشكل حضوراً يفضي للثبات فكان "الضوء" علامة للمرأة والحياة والتألق والاكتمال وفي ثنايا يلحظ المتلقي دلالات التهميش والمخادعة "دير" ودلالات التحطم والكبرياء والغياب، مما أفضى أن جسد المرأة يحاول أن يثور الواقع والمتخيل لتشكيل حضور فاعل ونهج جديد مغاير فيه الثبات والاستقرار والاكتمال والوعي بالكينونة المتألقة.

الخاتمة والنتائج:

حاولت جاهداً رسم صورة متكاملة الأبعاد والمرتكزات الخطاب الشعري النسوي مسترشداً في قراءتي لتلك المرتكزات بالعديد من النماذج التي استطاعت ذائقتي اختيارها كعينة ممثلة للأدب النسوي في بلدين خليجيين هما الإمارات والبحرين، ووفقاً لمعايير الموضوعية أزعم أنها منهجت قراءتي هذه كثيراً، وعليه فقد استطعت الوصول بهذه القراءة إلى العديد من الاستخلاصات أبرزها:

- أن من أبرز دلالات الخطاب الشعري السوي لتلك النماذج دلالة التمرد على الواقع، ومحاولة رسم الخيبات والإخفاقات، كسر العزلة، الغياب، والفاعلية الاجتماعية، والحراك، ومحاولة إثبات الكينونة الأنثوية.
- أن من أبرز مرتكزات الخطاب الشعري النسوي الجسد، الغرفة بمحتوياتها، الفضاء الخارجي بمحتوياته.
- كان أبرز مظاهر الضعف في الخطاب العزلة، الغياب، الوحدة، وزيف الرجل.
- من المحددات الداخلية لطبيعة النص النسائي السياق الأنثوي المفروض على هذا النص، قحط الحب، وعقم الحياة، عتاب الخصوبة، عتاب الاستقرار.
- ومن أبرز المؤثرات الخارجية، عصرية الحياة وضجيجها، برود الفضاء المادي، التقاليد المجتمعية.
- كان النص الشعري دالاً على مجموعة من التناقضات الحضور والغياب، الجدب والخصوبة، التوهج والبرود، النور والظلام، الاخضرار والجدب.
- ارتكزت كل العلامات والدوال على الجسد باعتباره محور الظمأ ومحور الحضور والتأثير.

الهوامش:

(1) مفيد نجم، الجسد في السرد النسوي، نزوى، العدد 72، 2012م، ص.....
(2) بروين حبيب، ديوان الفراشة، مؤسسة الصدى للطباعة والنشر، أبو ظبي، 2012م، ص33.
(3) بروين: المرجع السابق، ص15
(4) بروين، المرجع السابق، ص...
(5) نوافذ، العدد 33، ص44.
(6) خلود المعلا، ديوان ارتوي، قصائد مختارة، دار الصدى، أبو ظبي، 2011، ص27.
(7) مفيد نجم: المرجع السابق، ص.....
(8) المختارات، ص15
(9) مجلة الرافد، العدد 179، ص75.
(10) مجلة علامات، مج70، ص171
(11) نفسه، 125.
(12) بروين: المرجع السابق، ص38.
(13) مجلة نزوى، مرجع سابق.
(14) المختارات، ص41.
(15) مجلة الدوحة، العدد 63، 2013م، ص32.
(16) مجلة الدوحة، العدد 63، الدوحة، 2013م، ص32.
(17) ينظر: اسم الموضوع: مرجع سابق، ص60.
(18) نفسه، ص50.
(19) بروين: مرجع سابق، ص113.
(20) مختارات دون ارتوى، ص55.
(21) مجلة الدوحة، ص37.
(22) المختارات، ص25.
(23) المختارات، ص33
(24) بروين: المرجع السابق، ص31.
(25) مجلة الفيصل، مج الرابع، 1429هـ، ص72.
(26) مجلة نزوى، العدد 71، 2012، ص73.
(27) المختارات، ص44.
(28) مجلة نزوى، ص74.
(29) بروين حبيب: المرجع السابق، ص81.
(30) مجلة علامات، المجلد 17، ص511.
(31) بروين: المرجع السابق، ص86.
(32) مجلة الرافد، العدد يوليو 2009.
(33) مجلة الرافد، يوليو 2009، ص86.
(34) المختارات، ص73
(35) بروين: المرجع السابق، ص57.
(36) مجلة الرافد، يونيو 2011، ص80، 81.
(37) د. إبراهيم الوحش، النقد التكاملي، ص31.
(38) بروين: المرجع السابق، ص52.
(39) بروين: المرجع السابق، ص59
(40) المختارات، ص89.
(41) مختارات المعلا، ص95
(42) ديوان الفراشة.

هدية أروى

د. فضل مكوع

طابت الآمال والروح سمت
شمس أروى للملايين أشرقت
هذه الأصوات فجراً قد أتت
تملأ الأفق اخضرارا إذ مشت
أقبلت أرو وهذا نورها
ويقول الشعب أروى أقبلت
يا لشعبي من حياة حرة
في عنان الجو بشرى أنورت
هذه أروى وجاء نورها
من بلاد اليمن بشراها سرت
وحدة الشعب اليماني أشرقت
وبها آمال أروى أعلنت
أيها الشعب العظيم اكس المنى
سندسا والروح ياكم ألمعت
وبه أماله طابت لنا
وبع كل الروابي نورت
وبه الأرض الطهور ترقص
يوم جاء النصر أروى بشرت
وبآيار سما عنوانها
والصفا من غصن دوح غردت
تصدح الطير على أغصانها
وبذي الكونين أروى قد سمت
جسدت جسراً جديداً يبتني
وبألحان الغواني أنشدت
تبعث الآمال والنور لنا
وبعزم العزم أروى جسدت
جسدت جسراً جديداً يبتني
عادت المجد وأروى شيدت
هذه أروى وعادت تنشد
في هواها روحنا قد جددت
إن سألت القدس عن إيمانها
يستقي معسولها حتى ارتوت
تقتدي بالأم بلقيس التي
ساقها الإسلام حتى أسلمت
إنها بلقيس في أوصافها
فاقت الوصف ويا كم قد علت
واسألوا عنها سليمان النبي
كيف جاءته بحسن واقبلت
في كتاب الله قرأنا قصة
وبآي الذكر كم قد بينت

كان حبيبي

عبدالخالق الجوفي

• أصبح حبهما ذكرى بعد أن اغتال القدر آمالهما ليجعلها ماضيا ليس إلا لمجرد الذكرى وتناوبت الأيام في دفن ذلك الحب الذي كان جمرا وقادا تحت الرماد.
رأته ذات يوم على شاشة إحدى الفضائيات وابنتها بجوارها لم تستطع إخفاء معالم السعادة والفرح..كانت معالم وجهها جلية واضحة لاحظت ابنتها ذلك ولم تكن هي الوحيدة التي لاحظت فقد لاحظ ذلك زوجها الذي لم يكن غافلا عن حبها القديم غيّر القناة فصاحت دون شعور ارجع حبيبي!!
تكهرب الجو وعم الصمت لحظات قبل أن يرمي الزوج الرموت كنترول الخاص بالتلفزيون وغادر الغرفة، شعرت بالحرج من ذلك فقد أنطقها الحب دون شعور وشعرت بالأسى لزوجها الذي لابد أن كلمتها جرحته.
كان شوقها لاستعادة الماضي أكبر من قدرتها على استسماح زوجها حتى ابنتها ذات الأربعة عشر ربيعا لاحظت ذلك وغادرت الغرفة بحنق.
أخذت الرموت كنترول وأعادت القناة وتابعت البرنامج عرفت منه أنه عين بمنصب مهم فعزمت على زيارته بمكتبه.
لم يعرفها بادئ الأمر ولم يكترث لوجودها كان المكتب مكتظا بالزوار، خرج آخر زائر وهي تنتظر أن ينظر إليها!! كان مشغولا حتى أنه لم يرفع رأسه إليها حين رآها بين الجموع ظنها مع أحدهم.
اقتربت منه.. رفع رأسه إليها.. وقف.. تسمر.. استعاد اتزانه..
أهلا وسهلا بك..
مبارك المنصب الجديد
أشكرك..لكن كيف علمتي بذلك؟
أتابع أخبارك دائما.
اتهمك أخباري؟
عندك شك بذلك؟!
لم يرد عليها..واكتفى بابتسامة مصطنعة.
ما أخبارك؟!
قلت أنك تتابعينها دائما!!
صحيح..
لمتسألين عنها إذن؟
أعتقد أن علاقتنا أكبر من أن نتابع أخبار بعضنا البعض بوسائل الإعلام!!
تقصدين علاقتنا التي كانت..أعتقد أنك متزوجة الآن؟!
جرحتها إجابته..لكنها لم تشعره بذلك وردت بثقة.
نعم ولدي طفلة..على كل حال مبروك مرة أخرى..أراك بخير.
لم تشربي شيئا.
شكرا جزيلا لك..أتيت للتهنئة فقط للزمالة التي كانت بيننا..وأعتذر لمجيئي دون موعد.
نجوى.
مدام نجوى لو سحمت.
اعتذر ارتبك..شعر بأنه قد أساء التصرف معها..وأيقن لحظتها أن حبها ما يزال وقادا بحناياه.
لم يحدث ما يستدعي الاعتذار..أذكرك فقط أنني أصبحت متزوجة..مبروك وأعتذر مرة أخرى.
خرجت وهي تحبس دموعها التي كانت تتدافع لحظة خروجها من المكتب فلم تكن تتوقع لقاء كهذا..لكنها أيقنت أن زوجها أحق بهذه الدموع، خصوصا وقد ادركت حجم خطئها ومقدار الجرح بعد أن ذاقت من نفس الكأس الذي أذاقته ليلة البارحة أمام ثمرة زواجهما.

قصة قصيرة

سنبوسة..رمضان

عبدالوهاب الضوراني

• ذلك اليوم.. قرر الاستخارة وعقد النية للصوم اقتداء بالكبار وأقرانه الصغار في الحارة.. صحيح أنه أصغرهم سناً وأقلهم تجربة وتحملاً ونضجاً، ولكنها على أية حال مجرد محاولة وتجربة سواء أصابت أم خابت نجح فيها أم باء بالفشل سيان لم يخسر أو يفقد شيئا، المهم خوض التجربة واتخاذ القرار، رمضان لازال في بدايته وعشرة الأوائل وأمامه فرصة لا تعوض أو تتكرر أن يخوض لأول مرة تجربة الصوم قبل أن يولي ويشرف الشهر على نهايته، وهو كما قال له المعلم في المدرسة أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخرة عتق من النار، وهو أيضا فريضة وواجبة ديني على كل مسلم ومسلمة، فيه هبط الوحي على سيد الأنام وخاتم المرسلين محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" وفيه أيضا نزل القرآن وخاض المسلمون في رحابة أروع ملاحم الفتوحات الإسلامية في شرق وغرب أصقاع وبقاع المعمورة قاطبة، والنية والحمد لله موجودة والفرصة لا تزال سانحة ومواتية لاتخاذ القرار وخوض تجربة الصوم لأول مرة في حياته، صحيح أن اليوم لازال في أوله ومستهل بدايته وأمامه وقت طويل وطويل جدا حتى يأزف ويحين موعد الإفطار ولكنه على أي حال لا يعدو يوماً كسائر الأيام لا يلبث أن ينصرم ويعدي عاجلاً أم آجلاً وساعاته الثقيلة والمملة والراكدة التي تمرق وتمر أكثر تباطؤا وتثاقلاً وركوداً كسلحفاة هرمة تكاد تحتضر وتلفظ أنفاسها في أي لحظة ولكنه قطعاً سيتلاشى ويزول كأي كائن آيل لا للانقراض والزوال فالبقاء لله وحده.

ومن مكانه راح ينصت ويصيخ السمع لدبيب وقع أقدام أمه وسعالها وتثاؤبها المتقطع والمتكرر وهي تقوم بمزاولة أعمال البيت وإعادة ترتيب محتوياته مجدداً: يا ولدي افطر الصوم لا يجب على الذي في سنك وفي صحتك افطر وتمضمض بملح فستكون في عداد الصائمين.

هـ.. على غيري إنه استدراج ونوع من الإغراءات المكشوفة والسافرة التي لم تعد تنطلي عليه، عندما أزف وحان موعد أذان الظهر أحس بعصافير معدته بدأت تزقزق من الجوع، ولكن مهما يكن من أمر لا بد من خوض التجربة والرهان حتى النهاية وآخر المطاف بأي ذريعة وبأي ثمن، واليوم أصبح الآن في منتصفه وكلها ساعات قليلة ويحين موعد رفع أذان العصر ومن ثم المغرب موعد الإفطار، الحمد لله هانت انها مجرد معادلة ونوع من الاختبار لمدى مقاومته وقدراته وقوة إيمانه لكبح جماح النفس الأمارة دائما بالسوء، لو وسوس له الشيطان وأغراه وجعله يفطر لبطل يومه كله وبالتالي خسر الرهان والتجربة للأبد، ومش بعيد يكون عرضة ومدعاة لتهكم أقرانه في الحارة وزملائه في المدرسة وإثارة تعليقاتهم واستخفافاتهم له في الرايحة والجاية، نعم يجب أن يكون رجلاً وعند مستوى المسئولية لأول مرة في حياته، ومن مكانه أيضا راح يرقب ويتابع أباه وهو يطوي سجادة الصلاة بعد أن فرغ لتوه من تأدية صلاة العصر وتناهى إليه صوته وهو يغدق عليه لأول مرة عدداً من عبارات المجاملة والإطراء:

ما شاء الله شاطر كلها ساعات أو لحظات ويتقبل الله صيامك، ولكن لا يجوز الصوم بدون صلاة يجب أن تصلي الفرض حتى يكتمل ويصح صومك.. فعلاً.. لقد قال له المعلم في المدرسة إنه لا يجوز شرعاً تأدية فريضة الصيام بدون أن تزكيها صلاة وقال أيضا إن الله سبحانه وتعالى يقول (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وهي عماد الدين وركن من أركان الإسلام كالزكاة والحج والجهاد وصوم شهر رمضان.. نعم يجب أن يتوضأ جيداً ويستعد ويتهيأ للصلاة حتى يكتمل ويجوز صومه وإلا فصومه وقيامه واحتسابه باطل وهباء، فرب صائم ليس له من صيامه سوى الجوع والعطش، وحتى يبدد بقية الوقت ويشغل نفسه وفراغه انهمك لتوه في مراجعة واجباته المدرسية ومساعدة أمه في إعادة تنظيف وترتيب البيت، ثم رافق أباه في زيارة الأقارب والأرحام وجلب أغراض ومستلزمات البيت الرمضانية .. وعندما عادا أدرجهما صعد لتوه إلى سطح المنزل ليرقب ويتأمل عن كثب الشمس وهي تتأهب تدريجياً للمغيب إيذانا للزوال واستعداداً للظلام أن يرخي سدوله، وتنفس الصعداء ارتياحاً.. الحمد لله هانت وكلها دقائق وربما لحظات معدودة ويحين موعد أذان المغرب لقد نجح والتجربة ومفارقاتها والتي كانت يوماً معجزة وحلما مستحيلاً أصبحت الآن حقيقة وواقعاً ملموسا وإن كانت أشد قسوة ووطأة من الجوع والعطش وقمع النفس ولكنها على أي حال كانت ناجحة بكل المعدلات والمقاييس وكلها ساعة أو جزء من ساعة ويأزف فعلاً رفع أذان المغرب ويحين موعد وجبة الإفطار الشهية وبذلك يكون حقاً قد كسب الرهان وخاض تجربة الصوم ومجاهدة النفس الأمارة دائما بالسوء، نعم.. كما قال له المعلم وأئمة وخطباء المساجد عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" أن للصائم فرحتان الأولى حين يفطر والثانية حين يلقى ربه وهو راض مرتاح البال بقلب مطمئن وسليم خال من الشوائب الدنيوية والشهوات الزائلة وها هي أجواء ومظاهر الفرحتين بتأدية فريضة الصوم كما يجب وينبغي أن تملأ قلبه وكل جزء من جوانحه وكيانه، عندما راح يصغي بحرارة وإيمان لأناشيد النقشبندي والكحلاوي وعامر وتراتيلهم وتواشيحهم الرمضانية التقليدية تنبعث من الراديو والفضائيات إيذانا وتمهيداً لرفع أذن المغرب حين تسللت وتسربت إلى معدته قبل أنفه رائحة السنبوسة الشهية والطازجة تفوح وتتضوع تملأ أرجاء البيت وأمه منهكة ومشغولة كعادتها في طهيها وإعدادها في المطبخ المجاور وعيناه تقعان عليها الواحدة تلو الأخرى بشراهة ونهم وهي تغلي وتحضر داخل مقلاة وقدر مملوء لفوهته بالزيت المغلي وكمية من التوابل والبهارات والمكسرات الرمضانية الأخرى.. ما أشهاها وما أطيب والذرائحتها وإغراءاتها التي لا تقاوم عندما التقط إحداها وراح يشم بشراهة ونهم شذاها ورائحتها الزكية واللذيذة ثم لا يلبث يعيدها مجدداً لموضعها داخل القدر وهو يحاول عبثا تفادي وقمع وسوسة الشيطان وإغراءاته عندما التهم إحداها دفعة واحدة.. بينما أذان المغرب كان يرتفع حينها من مأذنة الجامع القريب.